خادِمُ الحَجيجِ

بقلم: نورا حق
رسوم: مريم جبل عامليان

في أَحَدِ الأَيّامِ الحارَّةِ

وفيما النّاسُ مُنْشَغِلينَ بِأَعْمالِهِمْ، تَدْخُلُ المدينَةَ قافِلَةٌ لِمَجْموعَةٍ مِنَ المُسْلِمينَ مُتَّجِهينَ لِحَجِّ بَيْتِ اللهِ الحَرامِ في مَكّةَ المُكَرَّمَة. مَكَثَ مُسافِرو القافِلَةِ عِدَّةَ أَيّامٍ في المدينَةِ المُنَوَّرَة، ثمَّ انْطَلَقوا نَحْوَ مَكّةَ. وَتَوَقَّفُوا مَرّةً أُخْرى في الطَّريقِ بَيْنَ المَدينَةِ وَمَكّةَ لِيَسْتَريحوا قَليلاً. في هَذِهِ الأَثْناءِ، اقْتَرَبَ رَجُلٌ مِنَ القافِلَةِ. فَرَأى رَجُلاً بَيْنَ مُسافِري القافِلَةِ، فَعَرَفَهُ. كانَ هَذا المُسافِرُ يُساعِدُ المُسافِرينَ الآخَرينَ بِكُلِّ مَحَبّةٍ وَلُطْفٍ وَيُحْضِرُ لَهُمُ الطَّعامَ وَالماءَ. سَأَلَ الرَّجُلُ أَحَدَ المُسافِرينَ: "هَلْ تَعْرِفُ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذي يُساعِدُ الآخَرينَ؟" أَجابَهُ الرَّجُلُ المُسافِرُ: "كَلّا، لا أَعْرِفُهُ. فَقَدْ الْتَحَقَ بِنا مِنَ المَدينَةِ. وَهُوَ بَهِيُّ الوَجْهِ وَلَطيفٌ. وَيُساعِدُنا في جَميعِ الأُمورِ وَلا يَتْعَبُ أَبَداً. نَحْنُ لَمْ نَطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يَعْمَلَ لِأَجْلِنا؛ وَلَكِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُساعِدَ الجَميعَ".

قالَ الرَّجُلُ: "لَوْ كُنْتُمْ تَعْرِفونَهُ، لَما دَعَيْتُموهُ يَعْمَلُ لَدَيْكُمْ كَالخادِمِ أَبَداً". قالَ الرَّجُلُ المُسافِرُ مُتَعَجِّباً: "وَمَنْ هُوَ هَذا الرَّجُلُ؟"

قالَ الرَّجُلُ: "إِنَّه الإمامُ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ زَيْنُ العابِدينَ عليه السلام".

تَضايَقَ المسافِرونَ الّذينَ كانوا حَوْلَ الرَّجُلَيْنِ وَيَسْمَعونَ كَلامَهُمَا وَخَجِلُوا مِنْ أَنْفُسِهِم. وَأَسْرَعَ الجَميعُ نَحْوَ الإمامِ عليه السلام كَي يَعْتَذِروا مِنْهُ.

قالَ أَحَدُ المسافِرينَ لِلإمامِ عليه السلام: "لِماذا لَمْ تَقُلْ لَنا مَنْ أَنْتَ؟ إِذْ كانَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ لا نَعْرِفَكَ حَتّى نِهايَةِ هَذا السَّفَرِ وَقَدْ نَقومُ بِعَمَلٍ يَكونُ مَعْصِيَةً كَبيرَةً!" تَبَسَّمَ الإمامُ عليه السلام بِلُطْفٍ وَقالَ: **"كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكُم لا تَعْرِفوني. لِذَلِكَ رافَقْتُكُم. أَحْياناً أُسافِرُ مَعَ أَشْخاصٍ يَعْرِفونَني، فَلا يَدَعوني أَقومُ بِأَيِّ عَمَلٍ لَهُم. بِالنِّسْبَةِ لي إِنَّ مُساعَدَةَ الآخَرينَ أَفْضَلُ وَأَعْلى لَذَّةً".**